نوّار نيسان..
تعليم خارج «علبة الزجاج»

منال دياب

«كنا نعيش كفئران التجارب في علبة من زجاج نظيف، نأكل جيداً وننام جيداً، نذهب إلى البحر أحياناً، فنغسل ضجرنا بالماء والشمس، ونعود إلى علبة الزجاج» (غسان كنفاني).

أعجبتني هذه المقولة لغسان كنفاني وكأنها تشبيه لنا ولأطفالنا في المدارس والنظام التعليمي التقليدي في مدارسنا. حتى حصتا الرسم والرياضة، لا نستطيع أن نؤديهما على أكمل وجه داخل هذه المدارس، وبناؤها المقيت، إذا أخرجت الطالبات إلى حصة الرياضة، تصبح أصواتهن وكأنهن داخل الفصول، وبذلك تكون حصة الرياضة حملاً ثقيلاً على المعلمة.

وكذلك حصة الرسم أو الفنون، المعلمة تلغيها لكي تحاول جاهدة إنهاء الكم الكبير من المنهاج التقليدي الممل بالنسبة للطالب والمعلم أيضاً.

جاء «نوار نيسان» ليفسر ضجر هؤلاء الطلاب والطالبات. في البداية تشاورت مع المديرة والمعلمات المشاركات في المهرجان على آلية مشاركة الطالبات وآلية الذهاب والعودة إلى مكان المهرجان، وكانت مديرتي التي أكن لها كل احترام نهاد جبر من المشجعات لنا على هذا العمل الجميل.

عندما سألت طالبات الصف الثاني من تريد أن تشارك في هذا المهرجان، طبعاً الجميع أراد المشاركة دون استثناء.

كانت مشاركتي مع طالباتي في اليوم الأول بعرض استعراضي لأغنية «عندك بحرية» للفنان وديع الصافي. حاولت على قدر المستطاع تدريب طالباتي، وكنت سعيدة جداً بتفاعلهن معي، وكنت أستغل أي حصة فراغ لتدريبهن، وكنا نرقص معاً مستمتعات، رغم أنني أريد أن أعبر عن سعادتي وكأنني في فرح جميل.

كنت في غاية السعادة أيضاً أثناء المشاركة مع زميلاتي من المدارس الأخرى في نشاطاتهم، وأريد أن أساعد هذا وذاك. كم لاحظت السعادة في عيون الطالبات وهن يشاركن الأعمال الفنية في قص الأسماك، ووضع الرمل في الزجاجات. لا أنسى أول يوم عندما جاءت طالبات الصف الرابع من مدرستنا، وبدأنا العمل مع المعلمة رحاب في الأحواض، وقالت علا: خليهم يستنوا شوي، فقلت لها: طالباتنا نشيطات ومتشوقات للمشاركة في النشاطات، كنت أتنقل والتقط الصور بكاميرا الجوال لجميع الطالبات.

في اليومين الثاني والثالث، ورغم أننا كنا أنا والمعلمات من مدرستنا مساعدات فقط لمن أراد المساعدة من الزملاء المشاركين، فإنني كنت في غاية السعادة، وواظبت على الحضور، كنت في غاية الفرح عندما شاركت الطلاب والأهالي في عمل الميناء البحري على الأرض، ومساعدتهم في عمل النافورة مع الأستاذ أحمد، وأدور مثل الفراشة التي تبحث على الأزهار هنا وهناك في وسط حديقة مليئة بالأزهار الجميلة.

اقترح في المرة القادمة أن يكون مهرجان نوار نيسان في مكان مفتوح وللعامة في الشارع، حتى يتمكن أكبر قدر ممكن من أطفالنا المشاركة في المهرجان، طبعاً لن يعود نوار نيسان دون مشاركتي فيه حتى أشعر بالسعادة مرة أخرى.

المدرسة المأمونية الابتدائية المشتركة